Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Ansiklopedisi

ابن رشد

فلسفة ابن رشد

١- فصل المقال
وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال

٢- الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملّة

تحقيق
لجنة إحياء التراث العربي
في دار الآفاق الجديدة

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

جقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار الآفاق الجديدة
الطبعة الأولى
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

المقدمة

تعريف ابن رشد

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، الذي اشتهر في أوربا خلال القرون الوسطى بـ Averroes . ولد ابن رشد ، أحد عظماء الفلاسفة العرب ، في قرطبة عام ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) لعائلة عريقة عرفت باهتمامها بالعلم . فجده الذي شغل منصب قاضي قرطبة ترك آثاراً فكرية هامة ، كما أن أباه شغل المنصب ذاته ، وواصل ، كسلفه ، الاهتمام والإشتغال بالعلم .

درس ابن رشد القانون والطب في مسقط رأسه ، قرطبة . ثم ارتحل إلى مراكش عام ٥٤٨ هـ (١١٣٥ م) وذلك بطلب من ابن طفيل — طبيب الخليفة أبي يعقوب يوسف آنذاك — الذي قدمه إلى الخليفة . وما جرى في هذه المقابلة محفوظ ومسجل في كتاب « تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين » . فقد سأل الخليفة أبو يعقوب ابن رشد لدى مثول الأخير بين يدي الأول عن وجهة نظر الفلاسفة في مسألة العالم : هل هو قديم أم محدث ؟ وقد تبادر إلى ذهن ابن رشد أن هذه المناقشة مقدمة لإضطهاده ، سيما وأن ملاحقة الفلاسفة واضطهادهم بحجة مخالفتهم للشرع لم يكن أمراً مستغرباً في ذلك الحين . ويقول ابن رشد « فأنكرت أنني اشتغلت بالفلسفة ، فلما رأى الأمير إضطرابي

وأدرك ما عراني من خوف التفت إلى ابن طفيل وأخذ يباحثه في ذلك الموضوع ويذكر ما قاله فيه أرسطو وأفلاطون وغيرهما من الفلاسفة وأردفها بردود المتكلمين عليها ، حتى تعجبت من علمه وسعة اطلاعه فاطمأنت نفسي وتكلمت بما حضرني وأبديت رأيي » . وخرج ابن رشد من مقابلته للخليفة منعماً عليه بالهدايا والخلع* .

وربما كانت هذه المقابلة وما جرى فيها من البحث والمناقشة ، هي المشار اليها في الرسالة التي إصطلح على تسميتها بـ « الضميمة » والتي يرجح أن تكون موجهة إلى الخليفة أبي يعقوب ، إذ يقول فيها ابن رشد « فهذا هو تقرير الشك ... على ما فاوضناكم فيه » .

بالإضافة إلى تقديمه للخليفة ، فإن ابن طفيل حث ابن رشد على الشرح والتعليق على كتابات أرسطو ، وأبلغه في معرض الحض على ذلك ، أن أمير المؤمنين طالما أبدى أسفه لصعوبة لغة الفلاسفة الإغريق وسوء الترجمات المتوفرة لأعمالهم ، وأن من واجب ابن رشد القيام بهذا العمل .

في عام ٥٦٥ هـ (١١٦٩ م) تولى ابن رشد قضاء إشبيلية لمدة سنتين ، تولى بعدها قضاء قرطبة . وبالرغم من مشاغل الوظيفة ، فقد كانت هذه الفترة من أخصب الفترات لجهة الإنتاج الفكري .

استمر قائماً بهذا المنصب إلى عام ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) حين استدعي إلى مراكش من قبل الخليفة ، ليكون طبيبه الخاص بعد أن تقدم العمر بابن طفيل . على أنه لم يطل به المقام في مراكش ، إذ سرعان ما أعيد إلى قرطبة برتبة قاضي القضاة .

بقي ابن رشد موضع الاعزاز والتكريم إلى بداية عهد الخليفة يعقوب ، الذي خلف يوسف ، والذي قربه وواصل كسلفه إحترام ابن

* انظر دائرة المعارف الاسلامية ، مادة ابن رشد .

رشد في بادىء الأمر ، إلى سنة ١١٩٥ م حين حل التشريد بإبن رشد وشنت الحرب على الفلسفة والفلاسفة . فقد أبعده الخليفة ، بعد تجريده من مناصبه ومحاكمته ، إلى لوسنة بالقرب من قرطبة ، وأمر بإحراق جميع كتبه الفلسفية الا أنه أبقى على الكتب التي تعالج مواضيع أخرى كالطب والحساب وعلم الفلك ، كما شهر به وأرسلت الأخبار إلى كافة الأمصار بمروقه وكفره . وقد كان ذلك دون ما أراده أعداء ابن رشد الذين كانوا يريدون الخلاص النهائي منه . وقد كانت هذه الفترة بالغة القسوة لإبن رشد ، إذ كثيراً ما قوبل بالإهانة والتحقير وتناوله الشعراء بالقدح والذم إرضاء للخليفة . فمن شعر لابن جبير الأندلسي :

لم تلزم الرُشدَ يا ابن رُشدٍ ... لما علا في الزمان جدُّكْ
وكنت في الدين ذا رياءٍ ... ما هكذا كان فيه جدُّك

ومن شعره أيضاً :

نفذَ القضاءُ بأخذ كلِّ مموِّهٍ ... متفلسف في دينه متزندقِ
بالمنطق اشتغلوا فقيل حقيقة ... إن البلاء موكلٌ بالمنطق .

ومن شعره في مدح الخليفة على إثر إبعاد ابن رشد :

تداركت دينَ الله في أخذ فرقة ... بمنطقهمْ كان البلاء الموكّلُ
أثاروا على الدين الحنيفيِّ فتنةً ... لها نار غيٍ في العقائدِ تشعلُ
وقد كان للسيف إشتياق اليهم ... ولكن مقامُ الخزي للنفس أقتلُ

وفي البيت الأخير ، إشارة واضحة إلى أن أعداء ابن رشد كانوا يريدون له أن يقتل .

وقد تضاربت الآراء واختلفت الروايات في تفسير ما حلّ بابن رشد على يدي الخليفة . فقد روى ابن أبي أصيبعة ، أن الخليفة قد ثارت

حفيظته على ابن رشد وذلك لدالـــة الأخير عليه أمـام الجمهور ومخاطبته إياه أثناء الحديث بـ « أتسمع يا أخي » . كما ذكر ابن أبـي أصيبعة أيضاً أن ابن رشد قد سمى الخليفة في أحد كتبه بـ « ملك البربر » ، مما جعل هذا يهم بهدر دمه لولا تدخل أحد الأصدقاء، وهو أبي عبدالله الأصولي . واعتذر ابن رشد بأنه قد كتب « ملك البرّين » يعني إسبانيا ومراكش، لكن القراء صحّفوا ما كتب .

وذهب الأنصاري المراكشي إلى القول بأن الخليفة أحس بميل ابن رشد إلى أخيه ومنافسه أبي يحيى والي قرطبة ، فحقد عليه وأضمر له السوء . وعندما جاء بعض الناس إلى الخليفة بنصوص من كتب ابن رشد وفسروها بما يفيد مخالفتها للدين، وجدها الخليفة فرصة سانحة للتخلص من ابن رشد والظهور بمظهر المدافع عـــن الدين . كما أورد قصة أخرى فحواهـــا أن ابن رشد أنكر وجود « قوم عاد » المذكورين في القرآن .

وقال الذهبي بأن منافسي ابن رشد وخصومه وجدوا في أحد كتبـــه المتعلقـــة بالفلسفة اليونانية العبارة التاليـــة : « قد ظهر أن الزهرة أحد الآلهة ... » ولما استدعاه الخليفة للتحقق من هـذا الأمر أنكر ابن رشد أن تكون هذه العبارة من كتابه ، إلاّ أنه خرج بعد ذلك متهماً بالكفر .

على أن المحنـــة لم تطل بابن رشد ، وهذا ما ينفي مـــا ذهب إليه أصحاب الروايات السالفة الذكر في محاولة تفسير إقدام الخليفة على إضطهاد ابن رشد . لا شك أنـــه قد كان لابن رشد أعداء بين رجال الدين ، وكان هؤلاء يضغطون القيام بما كانوا يعتقدونه دفاعاً عن الشريعة . غير أن وجهة النظر هذه ، والعداء بين الفلسفة وبعض رجال الدين، وجدت في كل زمان تقريباً . أما لماذا حلّ بابن رشد ما حل به في ذلك الوقت بـــالذات فتفسيره يعود للوضع السياسي السائـد آنذاك . فحتى ذلك الحين كان الخليفة يشجع الدراسات الفلسفية بالرغم من معارضة رجال الدين .

على أن هذا التشجيع ما كان ممكناً أن يستمر والخليفة يخوض حرباً ضد الإمارات المسيحية في إسبانيا ، ذلك أنـــه كان في أشد الحاجة إلى تأييد مسلمي تلك البلاد في حربه ، وقد كان إضطهاد الفلاسفة أحد التنازلات التي اضطر الخليفـــة لتقديمها إليهم في وجـه تأليب رجـــال الدين على الفلاسفة ، سيما وأن مسلمي الأندلس كـــانوا أكثر تشدداً إزاء الفلسفة والفلاسفة من مسلمي المغرب الذين كان جلهم من البربر . ومما يؤيد هذا التفسير ، أن الخليفة ما لبث، بعد عودته من حربه المظفرة إلى المغرب ، أن استدعى ابن رشد إلى بلاطه وأحاطه بالتعزيز والتكريم .

إلاّ أن ابن رشد لم ينعم طويلاً بتقريب الخليفة ، إذ وافـاه الأجل بعد عودته إلى البلاط بوقت قصير في التاسع عشر من صفر سنة ٥٩٥ هـ (١٠ كانون الأول ١١٩٨ م) . مخلفاً لنا ثروة فكرية في مختلف العلوم .

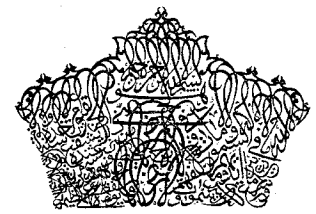

كتاب

فصل المقال

وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال